المحاضرة الثامنة: المدرسة المغربية الحديثة وروادها

مقدمة

تعتبر المدرسة التاريخية المغربية من أبرز المدارس في المغرب العربي، إذ أنها تأخذ بعين الاعتبار عند تناولها الدراسات التاريخية كل العوامل المحيطة بالكتابة التاريخية والمتمثلة في العوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجغرافية، كما تميزت هذه المدرسة منذ ظهورها بالتعدد والتنوع في الموضوعات وطريقة العرض والمناقشة والكتابة.

لقد ظل المؤرخون يستقون معلوماتهم ومادة تواريخهم عن المؤلفات السابقة لعهدهم، سواءً كان أصحابها من الإخباريين أو من كتاب التراجم أما الأسلوب اللغوي للمؤرخين المغاربة فهو عموما أسلوب واضح وجملة قصيرة، نلمس فيه أحيانا قليلا من الفخامة، وفي بعض التواريخ نصادف اللهجة المراكشية المحلية.

01- المدرسة المغربية الحديثة وخصائصها

تعود جذورها الأولى إلى فترة الفتح الإسلامي، مرورا بإسهامات المؤرخين في العصر الوسيط باعتبارهم خلفوا رصيدا معرفيا كما ونوعا وقاعدة علمية استندت إليها هذه المدرسة في نشأتها وتطورها ومن أبرز مؤرخيها في العصر الوسيط على سبيل المثال لا الذكر نجد القاضي عياض، ابن عبد الله المراكشي، البكري، الشريف الإدريسي وابن الخطيب وابن خلدون...

وتنحصر الكتابات التاريخية في مراكش (المغرب) غالبا في أحد هذين النوعين التاليين:

- تواريخ البلاد والدول والسلالات المالكة.
- كتابة التراجم الفردية أو الجماعية.

يرتكز النوع الأول على التاريخ الأسري للحكام الذين تعاقبوا على مسرح السياسة في المغرب الأقصى، لذا كان من الطبيعي أن يتزاحم الكتاب على قصور الحكام لتقديم نتاج قرائحهم الهدايا والألعاب والوظائف وهذا الفرع من الكتابة لا يخلو من تملق الظلم والظالمين ومجافاة النزاهة والتجرد والعدالة، ومن خلال التملق والتحريف حتى يبدو السلطان الفاجر سلطانا مثاليا، وهذه الآثار المكتوبة ينبغي أن تقرأ بحذر شديد.

أما النوع الثاني فهو كتب التراجم والسير والطبقات، فقد كانت الكتابة فيهم معتدلة أكثر من

النوع الأول، لأن المؤرخين لم يكونوا مدفوعين بحافز الحصول على الجوائز من الحكام أو الأسرار الشخصية التي يؤرخون لها.

02- خصائصها

ساهمت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية في تبلور المدرسة المغربية، وارتبطت بمرحلة الحماية وما أحدثته من تحولات مست بني المجتمع المغربي الاجتماعية والاقتصادية والذهنية، ومن أبرز الخصائص:

أ- الانفتاح العاقل: يظهر ذلك من خلال الموقع ودور المملكة بصفتها جسرا يربط بين الشرق الإسلامي والغرب النصراني، إضافة إلى فتح أبواب المشاركة للغير وتوسيع الدائرة لتشمل كل الباحثين العرب من خلال رابطة المؤرخين المغاربة.

ب- الاهتمام بالتاريخ المحلي: يظهر ذلك جليا من خلال الرسائل والأطروحات التي سجلت ونوقشت في الجامعات المغربية.

جـ- التنوع: من خلال طرق أقسام مختلفة كالتاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

د- الاهتمام بالمناهج: وذلك بتوظيف المناهج الحديثة في الكتابات التاريخية متأثرة بمدرسة الحوليات الفرنسية.

03-روادها

أ- أحمد بن خالد الناصري: هو الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلاوي الجعفري ولد يوم 22 مارس 1835 بمدينة سلا ونشأ فيها وقد كانت زاهرة بالعلوم والعلماء، من أسرة عريقة يصل نسبها إلى الزاوية الناصرية التامكروتية الواقعة بوادي درعة.

حفظ القرآن بالقراءات السبع إضافة إلى متون متنوعة من العلوم الشرعية ودرس الأدب والمنطق والتصوف والتاريخ، أخذ القرآن على شيخه الحاج محمد العلوي السلاوي ثم الأستاذ محمد بن الجيلاني الذي أخذ منه مبادئ العلوم في القرآن، أتم القراءات السبع وفن التجويد وحفظ المتون على يد شيخه عبد السلام بن طلحة وآخرون.

درس الرياضيات والطبيعيات وعلم الجغرافيا واطلع على العلوم العصرية والمخترعات الأوروبية الحديثة، شغل مناصب حكومية مثل: الشهادة في الأحكام القضائية، والقيام على الأوقاف والحسبة وإدارة المراسي البحرية وبعض الوظائف المالية، تخرج على يده العديد من فقهاء المغرب ورموزه وأقطاب الزوايا،

منهم شيخ الطريقة الكتانية "محمد بن عبد الكبير الكتاني" ومن الفقهاء "عبد الرحمن بن الطيب بن الشيخ الدرقاوي".

تفرغ لنشر العلم وتدريسه أزيد من 40 سنة، واشتغل بالتأليف بواقع اجتماعي وختم تفسير القرآن مرتين في أسلوب جديد على أهل المغرب خلف تراثا معرفيا ثقافيا ناهز 27 مؤلفا إضافة إلى المسودات التي لم يبيضها ولا زالت باقية في خزانته، توفي رحمه الله سنة 1897م.

– مؤلفاته

– الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى: مؤلف ذاع صيته في الأقطار العربية، كلفه 20 سنة من عمره، فرغ من تأليفه سنة 1894 وتوفي بعد ثلاث سنوات من إتمامه، أي أنه قضى الثلث الأخير من عمره في جمع ووضع وترتيب هذا المؤلف، وهو تاريخ للمملكة المغربية من الفتح الإسلامي إلى صدر دولة السلطان المولى عبد العزيز بن الحسن.

تميز هذا المؤلف بـ:

* سهولة اللغة وسلامتها.

*كثرة أخبار الجهاد والمجاهدين.

* ألف على سنن أهل العلم.

* شمل أخبار المغرب الأقصى بالتفصيل (09 أجزاء).

– كشف العربي عن ليوث بني مدين: اختصر فيه أخبار دولة بني مدين وانتهى من تأليفه سنة 1878.

– طلعة المشتري في السبب الجعفري: قسمه إلى جزئين، حقق فيه سبب جده ابن ناصر الدرعي رابطا إياه بالنسب العلوي لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وأتمه سنة 1881.

– زهرة الأفنان في شرح قصيدة ابن الوكان: هو شرح للأرجوزة الشمقمقية لصاحبها "أحمد بن محمد بن الونان الحميري"، وشرح فيها ملامحه من النظام من الأمثال والأخبار والنوادر وقد فرغ منها سنة 1895م.

– تعليق على ديوان أبي الطيب المتنبي: تكلم فيه عن غريب اللغة وشرح الأبيات مع الإشارة إلى البلاغة والتلميحات البديعية، فرغ من تأليفه سنة 1862م.

– تعليق على رقم الحلل في أخبار الدول لابن الخطيب السلماني: فيه أخبار ملوك مصر والشام في القرون الوسطى، فرغ من كتابته سنة 1869م.

ب– محمد بن جعفر الكتابي: ولد بفاس سنة 1858، كانت له رحلات إلى المشرق العربي، زار المدينة المنورة ودمشق التي درسها فيها لفترة من الزمن، ثم عاد إلى مراكش، وتوفي بفاس سنة 1927، وهو من أهم من كتبوا في التراجم ولاسيما أعلاه العلماء والصالحين في المغرب الأقصى، ومن كتبه "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمسن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس".

المحاضرة التاسعة: المدرسة التاريخية المغربية المعاصرة وروادها

مقدمة

يطلق مفهوم الكتابة التاريخية المغربية المعاصرة من فكرة نبذ الكتابة الاستعمارية، لينتهي إلى تساؤلات حول ما يمكن أن تستفيد منه من مناهج التاريخ الغربي ومفاهيمه، وتميزت في بداية الأمر بالإنتاج التقليدي خاصة من حيث الأسلوب.

ويقصد بها مجموع الإنتاج التاريخي في الجامعة المغربية الحديثة منذ فجر الاستقلال حتى اليوم وتسمى أيضا بمدرسة الرباط التاريخية، لذا بدأ الباحثون المغاربة يدعون إلى كتابة تاريخ وطني قومي بغية إزالة الكتابات الاستعمارية عن طريق إبراز عيوب هذا النوع من الكتابة، ومحاولة لإبراز قدرة المغاربة على كتابة تاريخهم وماضيهم.

1– مميزاتها وأهدافها

– تختلف هذه المدرسة عن الاتجاه الأوروبي الذي لم يتلزم بقواعد البحث العلمي التاريخي في دراسته لتاريخ المغرب وعن المدرسة التاريخية المغربية التقليدية.

– إعادة تاريخ المغرب من منظور وطني اعتمادا على وثائق مغربية أصيلة.

– محو المؤرخ المغربي الجديد بعض المصطلحات من قاموسه لأنها تناسب رؤية تاريخية كاذبة مثل "التهدئة" التي تخفي واقع الغزو، وكلمة "الحماية" التي تعتم على ظاهرة الاستعمار، وكلمة "العنصرية المغربية" التي تنكر الجمعية الوطنية للشعب المغربي.

– كشف الستار الذي أسدله الكتاب الأوروبيون على أنظمة البلاد وعلى درجة التلاحم بين عناصر مجتمعها المختلفة.

– كشف الأسباب الحقيقية للانحطاط الطويل الذي أدى بالمغرب إلى الاستسلام للاستعمار، والأسباب التي مكنته من مقاومته مدة طويلة.

– توسع المؤرخ الجديد ميدان البحث ليشمل المدن البوادي ويعطي الاهتمام للفلاحين ورجال المهن، واعتبار الإنتاج أساس المجتمع.

– تفادي تسجيل ما هو غير محقق على أساس وثائق.

– استنباط ما كان فعلا كما كان وتفادي تسجيل ما هو غير محقق.

– الاهتمام بظروف حياة العامة اليومية العادية في إطارها الجغرافي، وبالانتباه ووسائله والعلاقات بين الناس وعواملها.

– تنوع الإنتاج المغربي المعاصر في الموضوع والمضمون والمنهج والمرجعيات النظرية والخلفيات الإيديولوجية الظاهرة والضمنية.

– الاستمرارية بين الكتابة المعاصرة والحديثة من خلال مستوى المصدر والوثيقة ومستوى العقيدة والإيديولوجية.

– المرجعية الغالبية لدى جل هؤلاء المؤرخين مرجعية عصرية قد تكون ماركسية، أو تاريخية أو صحابية أو نبوية، سواء تم التعبير عنها بوضوح أو كانت ضمنية تنجلي في أنواع الإشكالات المطروحة.

– الاستئناس المتزايد بطرق ومفاهيم العلوم الاجتماعية المعاصرة من سوسيولوجيا وانثروبولوجيا واقتصاد وعلوم سياسية.

– العرض والتحليل بدل السرد والرواية.

– الطابع القومي الوطني، يحتل فيها تاريخ المغرب المكانة المركزية والموضوع الرئيسي.

– التصدي لأطروحات الهيستوغرافيا الكولونيالية، ووحدة الهدف مع بروز مواقف مختلفة وأحيانا متناقضة.

– الانتقال من مرحلة النقد الإيديولوجي إلى مرحلة يمكن نعتها بمرحلة التفكيك المعرفي.

2– روادها

لقد برز مفكرون مغاربة دافعوا عن اتجاهات المدرسة المعاصرة نذكر منهم:

أ– عبد الله العروي (1933)

مفكر ومؤرخ مغربي درس الفلسفة والتاريخ في فرنسا ومارس التدريس في بلاده وفي الولايات المتحدة الأمريكية، نال شهادة الماجستير عام 1958م عن أطروحة بعنوان "العلاقات التجارية بين المغرب وأوروبا في العصور الوسطى" التي شكلت فيما بعد نواة كتابة "تاريخ المغرب الكبير".

تبنى الطروحات تاريخية الماركسية متأثرا بالفكر الفرنسي وعالم الاجتماع "ديمون أرون"، عمل في المغرب في معهد الشؤون الخارجية، وتم اختياره ملحقا ثقافيا للسفارة المغربية في القاهرة، تعرف خلالها إلى نخبة من المفكرين المصريين ثم عاد إلى فرنسا لإكمال تعليمه وحصل على شهادة الدكتوراه عام 1976م.

مؤلفاته: نشر ترجمات ونصوصا ودراسات في عدد من المجلات المغربية والعربية والفرنسية، وأصدر أكثر من ثلاثين كتابا نذكر منها:

– الأيديولوجيا العربية المعاصرة: يحمل الكتاب دعوة إلى التحلي بالوعي النقدي وقاعدة إلى التجاوز المستمر التقائي بالذات، وانطلاقا من حتمية تداخل المجتمع العربي والغربي، وفي هذه الدعوة إشارة إلى تحاشي كل انكفاء، وكل انغلاق لتجنب المواقف التبرينية والاستعراضية ليصبح العقل العربي جاهزا ليوافي الغرب، وكان ذلك سنة 1967.

– خواطر الصباح يوميات (1967 – 1973): شرح العروي في كتابة يومياته منذ سنة 1949 وهو لا يزال تلميذا في ثانوية مراكش، ويغطي هذا المؤلف فترة تاريخية حاسمة من وجود الأمة العربية.

–مجمل تاريخ المغرب: هو محاولة لقراءة ماضي المغرب العربي بحكم أن من ألفوا في التاريخ المغربي غربيون، ومنهم مؤرخو الاستعمار الذين كانت لهم تأويلات افتراضية وحتميات لتفسير التاريخ المغربي على حسب أهوائهم السياسية والاستعمارية.

– مفهوم التاريخ: يتحدث فيه عن التاريخ كصناعة لا كمجموعة من حوادث الماضي، هدفه هو وصف ما يجري في ذهن رجل يتحدث عن وقائع ماضيه من منظور خاص به، تحدده حرفته داخل المجتمع، بعد ذلك يفند الرأي القائل بأن التاريخ صناعة.

– العرب والفكر التاريخي 1973م.

– أزمة المثقفين العرب 1974م.

- مفهوم الحرية 1981م.
- مفهوم الدولة 1981م.
- ثقافتنا في ضوء التاريخ 1983م.
- مفهوم العقل 1996م.
- الجزائر والصحراء الغربية 1976م.

منهجه الفكري

يعد العروي من المؤمنين بالمنهج المعرفي (الابستيمولوجي) كمنهج لمعالجة قضايا وإشكالات الفكر العربي، ويمكن أن نميز في مساره الفكري بين ثلاث محطات.

الأولى: محطة التحليل النقدي للأيديولوجيا العربية المعاصرة من خلال كتاب الأيديولوجيا العربية المعاصرة؛ والعرب والفكر التاريخي، حيث نلاحظ أن كتابه ظهر في سياق هزيمة 1967 التي شكلت نقطة تحول نوعية في الفكر الغربي الذي هيمنت عليه المقاييس الماركسية وبدأت تحتل مكان الأيديولوجيا القومية، وتقترح بديل الماركسية التاريخية* كمحطة مكتملة في مسار الحداثة تستوعب القيم التنويرية والليبرالية التي يحتاج إليها المجتمع العربي في نهوضه.

الثانية: محطة المفاهيم من خلال كتبه مفهوم الحرية ومفهوم الدولة ومفهوم العقل ومفهوم التاريخ.. والغرض من هذه المفاهيم هو خلاصات مكثفة لحقل دلالي كامل، فالتاريخانية عنده منهج يعتمد على تفسير التاريخ بالتاريخ وإخراج الميتافيزيقيا والغيبيات وحتمية المرور بالمراحل التاريخية في التطور.

الثالثة: ينطلق العروي في كتابه الأخير "السنة والإصلاح" من فكرة رئيسية مفادها أن المأزق الإصلاحي في التقليد الإسلامي راجع إلى أصول تشكل المرجعية الإسلامية بعد العهد النبوي، بحيث تقرر أن الإسلام التاريخي هو إسلام الجماعة.

ب– عبد الحق المديني

* ينظر: الهادي التيمومي، **المدارس التاريخية الحديثة**، ط 01، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2013، ص 101 وما بعدها.

ولد في 31 ماي 1934 بالرباط، حصل على ديبلوم معهد الدراسات العليا المغربية سنة 1960، وعلى الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 1964، أحرز سنة 1966 على ديبلوم الدراسات العليا من معهد الدراسات العربية التابع لجامعة "ستراسبورغ" الفرنسية، وعلى دكتوراه من نفس المعهد سنة 1973، نال سنة 1989 دكتوراه الدولة في الأدب المغربي من جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

التحق باتحاد كتاب المغرب في فبراير 1973، ليوزع إنتاجه بين الأدب والتاريخ، وقد نشر مجموعة من المقالات ابتداءً من سنة 1966 بعدة صحف ومجلات وهي: الأنباء، العلم، الشرق الأوسط، البحث العلمي، دعوة الحق، اللقاء، الفنون.

مؤلفاته

– الجيش المغربي عبر التاريخ: ألفه سنة 1968، يحتوي على 569 صفحة، حاز على جائزة المغرب لسنة 1968، بلغ سنة 1997 طبعته الخامسة، ويتطرق إلى الجيش المغربي منذ فجر التاريخ مرورا بدوره في الفتوحات الإسلامية والدول المتعاقبة على منطقة المغرب الأقصى وصولا إلى عهد الاستقلال، مذيل بمجموعة من الملاحق، يدخل ضمن التاريخ العسكري للمغرب الأقصى.

– ديوان الحنسيات: في 03 أجزاء صدر بالرباط الجزء الأول والثاني 1975 والجزء الثالث 1983.

– قال جلال الملك الحسن الثاني: في جزئين صدر بالرباط سنة 1977 بها 148 صفحة.

– محمد الخامس: دراسات وشهادات: الدار البيضاء، مطبعة دار السياسة 1988.

– الشاي في الأدب المغربي: صدر عن سلسلة شراح لخدمات الإعلام والاتصال العدد 57، 15 جويلية 1999، وقد شمل المحاور الآتية:

– أزمة الكتاب المغربي – الشاي في الأدب المغربي – المغرب ملتقى التيارات الفنية – حديث المغرب عند طه حسين – باقة شعر من رياض الزيتون – مليكة العاصمي والأدب النسائي–– إشراقات مغربية.

ج– عبد الهادي التازي:

من مواليد 15 جويلية 1921 بتازة، توفي يوم 02 أفريل 2015 بالرباط ودفن بفاس، سياسي وكاتب ومؤرخ مغربي، عضو بأكاديمية المملكة المغربية وعضو بمجمع اللغة العربية بالقاهرة تعلم القرآن وحفظه في سن

التاسعة من عمره بالكُتَّاب، ثم توجه إلى المدرسة ومنها إلى الجامعة التي حاز فيها على إجازة من جامع القرويين سنة 1947، ومعهد للغات في بغداد سنة 1966، وحصل سنة 1972 على دكتوراه الدولة من جامعة الإسكندرية وكان موضوع أطروحته "جامعة القرويين".

تقلد عدة مناصب فكان سفيرا للمغرب بالعراق ثم بليبيا، ثم مديرا للمعهد الجامعي للبحث العلمي سنة 1974، ويعد من مؤسسي نادي الدبلوماسيين المغاربة (رئيس) سنة 1990، كما عين رئيسا للمؤتمر العالمي السادس للأسماء الجغرافية بنيويورك، وشغل عضويه عدد من المجامع العلمية منها المجمع العلمي العراقي، ومجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمعهد العربي الأرجنتيني، ومؤسسة آل البيت، ومجمع اللغة العربية بالأردن، ودمشق.

مؤلفاته:

أصدر مجموعة من الكتب عبارة عن ترجمات وأبحاث بالعربية والفرنسية والإنجليزية، بالإضافة إلى نشره الكثير من المقالات، أهدى مكتبته إلى خزانة جامعة القرويين بفاس، كانت تضم 07 آلاف كتابا، ومن أشهر مؤلفاته:

- الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمملكة المغربية.
- تاريخ العلاقات المغربية الأمريكية.
- الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ.
- التاريخ الديبلوماسي للمغرب (08 مجلدات).
- دفاعا عن الوحدة الترابية.
- جامع القرويين المسجد الجامعة في مدينة فاس.
- ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي.

كما ترجم عدد كتب من ضمنها:

- حقائق عن الشمال الإفريقي للجنرال "دولاتوز".
- لو أبصرت ثلاثة أيام للكاتبة الأمريكية "ديريك حدي صولابرايس".
- كما قام بتحقيق كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" للرحالة "ابن بطوطة".